

الصحافة الورقية: صراع من أجل البقاء

د. فاطمة الزهراء تنيو، جامعة قسنطينة، الجزائر

الملخص

يثير مستقبل الصحافة الورقية كثيرا من الجدل في العالم، إذ يتكهن بعض الباحثين بزوال وانحيار مؤسسات صحفية كبيرة وتراجع بعضها الآخر إلى الوراء بسبب تخلفها عن اللحاق بركب الثورة التكنولوجية. وقد شهدت الصحافة الورقية خلال السنوات الأخيرة أزمة حقيقية، أخذت تتفاقم من سنة إلى أخرى في العديد من الدول نتيجة لثورة الاتصالات والمعلومات وظهور شبكة الأنترنت، وتتمثل هذه الأزمة في عزوف الكثير من القراء عن اقتناء أو مطالعة الصحف الورقية ونشوء جيل جديد لم يعد يتعامل مع الورق، وفي تغير أنماط الاهتمام بالقراءة لدى مجتمع المعرفة وشيوع ثقافة الحصول المجاني على المعلومة. كل هذا أدى إلى التراجع المتواصل لمبيعات الصحف الورقية وانخفاض عائداتها من الإعلانات التي تتحرك بسرعة صوب شبكة الأنترنت.

Abstract:

The future of press raises a lot of controversy in the world, some researchers speculate about the collapse and demise of large media institutions and the retreat of others because of their failure to catch up with the technological revolution.

In recent years, press has witnessed a real crisis, which has been worsening from year to year in many countries, as a result of the revolution of communications and information and the emergence of the Internet. This crisis is represented in the reluctance of many readers to acquire or read the newspaper and the emergence of a new generation that no longer deals with paper, the changing patterns of interest and reading in the knowledge society, and the widespread culture of free access to the information. All this has led to a steady decline in the sales of the newspaper and lower revenues from advertising, which are moving rapidly towards the Internet.

مقدمة:

لعبت الصحافة الورقية دورا هاما في تاريخ البشرية، فهي الصوت والقلم والصورة التي أرهبت الحكام وغيّرت مصير شعوب بأكملها. أقلام أنعت الحروب في دول وأعلنتها في دول أخرى، حتى أن نابليون بونابرت قال عن الصحف "أخاف من ثلاث صحف أكثر مما أخاف من مئات الآلاف من الطعنات بالرمح"

لكن في الوقت الحاضر ومع التقدم التكنولوجي المبهّر لم يعد للصحف الورقية مكان ماعدا القليل من العناوين العريقة التي مازالت تكافح من أجل البقاء، فيما تشهد الصحف الإلكترونية ازدهارا في الدول العربية والغربية. فالصحافة الورقية تعاني من تراجع كبير في مبيعاتها خاصة بعد الأزمة الاقتصادية الحالية التي تعصف بالعالم والتي أطاحت بمؤسسات صحفية وإعلامية عريقة تمتد جذور بعضها إلى ما يقارب قرن ونصف من الزمان، وإذا كانت الصحافة الورقية قد تربعت على عرش وسائل الإعلام سابقا فإنها متجهة الآن نحو الانحدار التدريجي وربما السريع نحو القاعدة تاركة القمة لجيل جديد من الإعلام الشبكي والتقني الحديث، فقد تحول ميزان القوة من حراس البوابة في الصحافة التقليدية الورقية إلى السلطة الخامسة المتمثلة في المواطنين، حيث اكتسبت شرعيتها من الواقع المعيش ولم يعد للسلطة الرابعة ذلك الحضور الذي كان يشهد لها في القرنين الماضيين.

والتطور الكبير والمتسارع والمتحدّد للإعلام الإلكتروني جعل الصحافة الورقية على شفا حفرة من الانهيار إذا لم تسارع في التقاط أنفاسها الأخيرة وتجديد نفسها لتلائم تصورات التقدم في وسائل التواصل، فالصحافة الإلكترونية تنقل الخبر دقيقة بدقيقة ولا ينتظر الفرد حتى تشرق الشمس ويحصل على الجريدة، فبين ليلة وضحاها قد تشتعل نيران حروب وقد تسقط حكومات.

وفي ضوء المخاض العسير الذي تمر به الصحافة الورقية تبرز الأسئلة المركزية التي أحاول من خلال هذا المقال الإجابة عنها وهي: هل ستختفي الجرائد الورقية في يوم ما من عالم

الصحافة؟ وهل سينخفض عدد الصحف الورقية تدريجياً وينتهي عصرها ليبدأ عصر آخر هو عصر الصحافة الإلكترونية؟

1- الصحافة الورقية

تعاني الصحافة الورقية في العالم العربي وفي العالم أجمع من تراجع كبير في مبيعاتها بسبب هروب القارئ عنها إلى فضاء الأنترنت، حتى إن إمبراطور الإعلام روبرت مردوخ يتوقع أن تختفي الصحافة الورقية عام 2020 وقد رفع شعار "تغير أو اندثر" مشيراً لخطر زوال تأثير المؤسسات الإعلامية التقليدية أمام الأسلوب الجديد في صناعة المعلومات⁽¹⁾.

وهناك مؤشرات قوية على أن التوقعات بصمود الصحافة الورقية حتى منتصف القرن الحادي والعشرين كانت متفائلة، فهناك عشرات الصحف والمجلات العريقة في أوروبا وأمريكا شرعت بالفعل في إيقاف نسخها الورقية خلال السنوات العشر الماضية واكتفت بالصدور عبر مواقعها الإلكترونية، وفي الطريق عدد غير قليل من كبريات الصحف الأمريكية والبريطانية بعد أن حاصرتها ديون بالملايين ولم يعد بوسع ملاكها تحمل تكاليف الصدور الورقي، وقرىبا جدا ستختفي وتصدر عبر موقع إلكتروني بعد تراجع التوزيع الذي كان يصل لملايين النسخ يوميا.

وقد انصرف كثير من القراء عن شراء الصحيفة الورقية التي أصبحت عاجزة عن متابعة الأحداث المتسارعة على مدار الساعة واتجهوا للصحف الإلكترونية والمواقع الإخبارية التفاعلية التي تقدم التغطية الخيرية المتواصلة للأحداث المحلية والعالمية لحظة وقوعها بتكلفة تكاد تكون لا تذكر مقارنة بتكلفة الصحف الورقية، ولا ريب أن النهاية حتمية وإن اختلف المحللون حول المدة الزمنية، وكما ظهرت الصحافة الورقية في أوروبا في القرن السابع عشر ووصلتنا نحن العرب في القرن التاسع عشر، فإن النهاية ستكون أولا في أوروبا، وربما صمدت عندنا بعض الوقت لأسباب لها علاقة بوظيفة الصحافة الورقية وأنماط الملكية وارتباط الحكومات والأنظمة العربية بالصحيفة الورقية واعتبارها المتحدث الرسمي باسمها والأداة التي توثق بها قراراتها وتوجهاتها، فضلا عن كونها مستندا يعتد به أمام المحاكم، وأرشيفا يلجأ إليه الباحثون لتوثيق الأحداث.

وأزمة الصحافة الورقية تفاقمت بعد ظهور مواقع التواصل الاجتماعي التي أصبحت المصدر الأكبر للأخبار، خصوصاً لدى الأجيال الناشئة، واضطرت المواقع الصحفية الرصينة صاغرة للهِثاء خلف ما تبثه هذه المواقع من أخبار حتى ولو كانت شائعات مغلوطة، وشاهدنا مواقع إلكترونية لصحف محترمة تنشر أخباراً كاذبة وأحداثاً سياسية ورياضية واجتماعية لا أساس لها من الصحة نقلاً عن (التويتر والفيس بوك) ورغم معضلة المصادقية انصرف كثير من القراء عن الصحف الورقية بدعوى أنها موجهة أو أنها أبواق للسلطة وأن ما فيها من أخبار لا يعدو كونه (كلام جرائد)، واتجهوا لاستقاء معلوماتهم وأخبارهم من مواقع التواصل الاجتماعي، رغم ما يشوبها من تلفيق وشائعات⁽²⁾.

2- التحديات التي تواجه الصحافة الورقية:

مع دخول التطور الهائل الذي لحق بوسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات في المدة الأخيرة، تغيرت خريطة المنافسة في عالم الصحافة التي بدأت تتحول إلى متغيرين مختلفين هما: الصحف الورقية والإلكترونية، بعد أن كانت هذه المنافسة تقتصر بين الورقية وبعضها فحسب، واكتسب هذا النوع الجديد من الصحافة أهمية بالغة منذ ظهوره أوائل التسعينيات من القرن الماضي، وتزايدت أهمية الصحافة الإلكترونية مع توالي الأعوام وانتشار الإنترنت وتضاعف أعداد مستخدميه، فأصبحت غالبية المؤسسات الصحفية على الصعيدين العالمي والعربي تمتلك مواقع إلكترونية لمطبوعاتها الورقية.

وناقشت مؤتمرات ومنتديات محلية وعالمية مصر ووضعت الصحافة الورقية خلال السنوات القليلة الماضية، وعزا المشاركون فيها أسباب أزمة الصحافة الورقية إلى تحديات تتعلق بتدني نسبة القراءة في العالم بشكل عام، وتوجه القطاع الأعظم من المتابعين إلى شبكات التواصل الاجتماعي مصدراً للخبر، إلى جانب سطوع نجم الصحافة الإلكترونية التي باتت تمثل منافساً للمطبوعات الخيرية، إضافة إلى انخفاض مصادر التمويل في وقت تزداد فيه أسعار الورق. الأمر الذي دفع كبرى المؤسسات الإعلامية إلى الحصول على إعانات مالية مثل صحيفة «لوموند» الفرنسية، التي نجحت في الحصول على 18 مليون يورو إعانات عبر تقديم ملف قوي مكنها من الفوز بدعم الدولة. واعتبر عدد من الإعلاميين أن تراجع الصحافة الورقية

ظاهرة عالمية، لا علاقة لها بجودة المادة الصحفية المقدمة من خلالها، وأن التحدي الأكبر يكمن في مدى قدرة الصحافة الورقية على التكيف، ومرونتها اتجاه الأشكال الجديدة من الإعلام⁽³⁾.

وبعد تراجع مبيعاتها اليومية بسبب الثورة الرقمية التي يعيشها العالم اليوم والتي أدت إلى تراجع عدد قرائها، وبسبب الأزمة الاقتصادية الخانقة التي أثرت على كل المجالات والقطاعات ومنها قطاع الإعلام، خيرت العديد من الصحف الورقية تغيير نشاطها من الورقية إلى الإلكترونية حتى تتمكن من التكيف مع التطور التكنولوجي وتحصل على الرواد الذين يحسنون مردودها المالي ويحبون لها نصيباً أوفر من الإشهار. وهو ما دفع كثيراً من الصحف إلى التوقف عن الصدور نهائياً أو إلى الاستغناء عن الطباعة لصالح النشر الإلكتروني. المفارقة أنه مع تراجع توزيع النسخ الورقية فإن معدل القراءة ارتفع مع ازدياد عدد القراء للنسخ الإلكترونية، لكن هذا الارتفاع بقي دون عائد مادي، بل في كثير من الأحيان زاد العبء المالي على الصحف التي استثمرت في النشر الإلكتروني، لكنها لم تحقق عائدات تغطي تكاليفها الإضافية. ويمكن القول أن الصحافة الورقية تواجه مجموعة من التحديات نذكر منها:

- **التحدي المهني والأخلاقي:** فهناك تراجع مهني في الصحف يتعلق بانخفاض جهد المحررين في التغطية الخيرية، فضلاً عن كيفية إيجاد التوازن بين الحق في النشر، والحق في الحصول على المعلومة دون الإخلال بالقيم المهنية للتغطية الخيرية.
- **ارتفاع نفقات إصدار الصحيفة:** وذلك بعد أن تحولت إلى صناعة ضخمة، وأصبح إصدار الصحيفة كمشروع فكري إعلامي صناعي تجاري عملية باهظة التكاليف.
- **منافسة الوسائل الاتصالية الأخرى للصحيفة:** أدت التطورات الرهنة التي حدثت في وسائل الإعلام والأقمار الصناعية والتغطية الإخبارية الحية من موقع الأحداث مباشرة إلى فقدان الصحيفة للسبق الإخباري.

- جذب القارئ: قدرة الصحافة الإلكترونية على جذب القارئ بصريا تجعل الصحافة الورقية بحاجة إلى تطور مدروس في عرض الخبر المكتوب.
- توزيع الصحف: بطء وسائل المواصلات التقليدية في توزيع الصحف، على عكس الصحافة الإلكترونية القادرة على المتابعة الآنية للأحداث.
- تطوير المحتوى: الصحافة الورقية تواجه تحديا في تطوير مضمون محتواها بما يضمن تفوقه على المضمون الإلكتروني.
- ثورة الاتصالات: عدم قدرة الصحافة الورقية على مواكبة ثورة الاتصالات في ظل التطورات المتسارعة.
- القارئ المستهدف: قدرة الصحافة الإلكترونية على الوصول إلى القارئ المستهدف بسهولة، تزيد التحديات التي تواجه الصحافة الورقية.
- نقص في مهارات الصحفي التي تمكنه من دعم الخبر المكتوب بالصوت والصورة والفيديو.
- تغير أذواق القراء وطبائعهم واحتياجاتهم الإعلامية نتيجة للمتغيرات المجتمعية المختلفة ولظهور وسائل إعلامية منافسة جديدة، وللأوضاع الاقتصادية والسياسية الجديدة والاتجاه إلى التعددية.
- أصبحت هناك حاجة لنوعية جديدة من المحررين الصحفيين والإداريين في صحافة الحاسبات الإلكترونية والأقمار الصناعية ولصحافة التفسير والتحليل والصحافة المتخصصة⁽⁴⁾.
- تراجع إيرادات الصحافة الورقية من الإعلانات، وانخفاض أعداد توزيعها، وتسريح أعداد كبيرة من الصحفيين، حيث أن ما يقارب ثلث صحفيي الجرائد المطبوعة في أمريكا قد فقدوا وظائفهم منذ العام 2006⁽⁵⁾.

● غلاء الورق المستخدم في الطباعة، ما يمثل عبئا مالياً على مالكي الصحف سواء كانوا مؤسسات أو أفراد.

● تعاني الصحف الورقية من عدد من الضغوطات بشأن عمليات التمويل، وارتفاع تكلفة الطباعة والتقييد بمساحات معينة داخل الصفحة الورقية، وأيضاً طول المدة الزمنية بين تسلم المقال وطبعه ونشره.

● إن صحف العالم وبخاصة في العالم الثالث تعاني من أزمة ثقة أو فقدان للمصداقية أو الاحترام والتقدير لها كمؤسسة اجتماعية، وكجزء من اختلال العلاقة بين أضلاع مثلث المصداقية الثلاثة وهي الحكومة والقراء والصحافة، فالقراء لا يثقون في صحفهم ويشكون في استقلالها اقتصادياً وسياسياً، والحكومة لا تثق في الصحافة من حيث الولاء وتعتقد أنها تعادياها، والقراء يعتقدون أن الحكومة تحاول تكبيل الصحافة واستمالتها نحوها، والنتيجة أن الصحافة هي المتأثر الأول بكل هذه المشكلات.

3- الصحافة الورقية مسار خطي:

يمكن القول أن الصحافة الورقية تتبع منهاجاً في العمل يقوم على المسار الخطي، والذي ينقل القارئ من نقطة إلى نقطة في مسار مستقيم حتى تصل المعلومة من المصدر إلى الجمهور كالتالي: (6)

المرحلة الأولى: ساحة الأحداث ومصادر المعلومات، وفيها تتم مرحلة جمع المعلومات بواسطة الصحفيين.

المرحلة الثانية: جهة الاتصال، ويقوم بهذه المهمة المحررون وجهاز تحرير الصحيفة ومسؤوليها وإدارتها ككل، وفي هذه المرحلة تكون المواد القابلة للطباعة - سواء صور أو نصوص مكتوبة - هي النمط الوحيد المستخدم.

المرحلة الثالثة: وسيلة الاتصال، وهي صحيفة من الورق مطبوع عليها المحتوى التحريري الذي حصل عليه جهازها التحريري.

المرحلة الرابعة: جمهور متلقي عليه أن يقرأ فقط، ولا يملك من وسائل الاتصال والتفاعل مع الصحيفة شيئا سوى عينيه وسطور الخبر المصنوفة على الورق.

وهكذا تصنع المراحل السابقة نموذجاً خطياً ينتقل من نقطة لأخرى في خط مستقيم من المصدر للقارئ. فلا يوجد تفاعل مباشر مع الخبر، وهذه العملية توفرها الصحف الإلكترونية بتقديم خدمة التعليق الفوري المباشر أو رجع الصدى الذي يتيح للمستخدم التعليق على ما نشر بالصحيفة وإرسال رسائل إلكترونية إلى المحرر يعلق فيها على ما نشر بالصحيفة أو يقدم فيها اقتراحاً أو تصحيحاً لما نشر. وتباين مسميات هذه الخدمة في مواقع الصحف المختلفة مثل feedback و Send us feedback، كما تتفرع منها خدمات أخرى في بعض المواقع مثل خدمة التصحيح Corrections وبهذه الخدمة تتميز الصحف الإلكترونية عن الصحف الورقية التي لا تسمح طبيعة إنتاجها والتكنولوجيا المستخدمة فيها بتقديم خدمة رجع الصدى الفوري أو المباشر وهو ما تعاني منه وسائل الإعلام التقليدية بصفة عامة حيث يتميز رجع الصدى فيها بأنه غير مباشر ومتأخر.

4- الأزمة المالية العالمية وتأثيرها على الصحف الورقية:

ألقت الأزمة المالية العالمية التي تفاقمت عام 2009 بظلالها السلبية على سوق الصحف والمجلات العالمية، والتي كانت في السابق تحقق أعلى الأرباح من مبيعاتها. ورغم انخفاض عدد قرائها إلا أنها لم تكن تعتمد على إيرادات التوزيع بل اعتمدت على تكاليف الإعلانات المدفوعة ومصادر أخرى مستمرة، وعندما تراجعت الإعلانات تعرضت صحف كثيرة للخسارة الفادحة، بل وأشهر بعضها إفلاسه، فقد تراجعت مبيعات المجلات في أكشاك بيع الصحف بنسبة تجاوزت 10 % في الولايات المتحدة الأمريكية بين جويلية وديسمبر 2009، والاشتراكات بنسبة 1.1 % حسب الأرقام المنشورة من قبل مكتب مراقبة التوزيع، وكان يحمل توزيع المجلات سجل تراجعاً عاماً بنسبة 2.23 % مع نحو 328.4 ملايين نسخة لـ 472 عنوان مجلة مختلفة وزعت في نصف السنة الأخير من العام 2009 وفقاً لإحصائيات مكتب "اي بي سي" لمراقبة التوزيع، وقد حدد المكتب أن نحو 35.7 مليون نسخة من المجلات المعروضة في أكشاك بيع الجرائد قد بيعت (9.1 %، مقابل 11.12 % في الفترة

ذاتها من العام 2008) و 278.9 مليون نسخة أخرى بفضل الاشتراكات المدفوعة بحسب "فرانس برس" وكان لتراجع نسبة القراء أثر واضح خصوصا على مجلة "ريدرز دايجست" التي وضعت في حماية المحاكم تجنبا للإفلاس مع تسجيلها تراجعا في التوزيع بنسبة بلغت 13.09% مقابل 7.09 مليون نسخة مبيعة⁽⁷⁾.

كما سجلت مجلة " ناشيونال جيوغرافيك " تراجعا بنسبة 11.15 % إلى 4.5 مليون نسخة. فيما تراجعت مجلة " تلم " بنسبة 0.91 % إلى 3.3 مليون نسخة، إلا أن يحمل هذه الصناعة لم تواجه أزمة، فمبيعات " أمريكيان ريفليمن " شهدت نموا بنسبة تزيد عن 20 % إلى 1.72 مليون نسخة، كما باعت مجلة " وومنز هيلث " 1.45 مليون نسخة بين جويلية وديسمبر من العام نفسه.

من جانب آخر أعلنت وكالة " اسوشيتد برس " الأمريكية للأبناء التي تعمل على شكل تعاونية صحف عن تراجع أرباحها بنسبة 65 % عام 2009 عند 8.8 ملايين دولار، ولم تنقذها من السقوط في الخسارة إلا خدماتها الألمانية التي حققت أرباحا بلغت قيمتها 13.2 مليون دولار، وبلغ حجم تعاملات الوكالة الأمريكية 676.1 مليون دولار مقابل 747.7 مليون دولار قبل ذلك بعام واحد، مما يعني تراجعا بنحو 10 % بحسب أرقام نشرت أثناء الجلسة العامة السنوية للوكالة في نيويورك، وهي المرة الأولى منذ 1993 التي تراجع فيها عائدات هذه الوكالة التي تشكل مع مجموعة " طومسون رويترز " ووكالة "فرانس برس" أكبر وأقدم وكالات الأنباء في العالم. وقبل 17 عاما لم يتعد تراجع عائدات الوكالة نسبة 6 % وبحسب برقية بثتها في أواخر عام 2009 توقعت الوكالة أن يتواصل تراجع حجم تعاملاتها في 2010 لتكون تلك المرة الأولى منذ 1932 و 1933 التي تشهد فيها عامين متتاليين من التراجع، وقال " دين سينغليتون " رئيس مجلة إدارة "اسوشيتد برس" إن الوكالة اضطرت إلى أن تأخذ في الاعتبار صعوبات وسائل الإعلام الأعضاء في التعاونية عبر إجراء تخفيضات لمصلحتها بلغت قيمتها 30 مليون دولار في 2009، وأضاف أن هذه التخفيضات ستبلغ في 2010 ما قيمته 35 مليون دولار، كما تم خفض كلفة الأجور بنسبة 10 % من خلال إلغاء عدة وظائف، وأكدت الوكالة الأمريكية أن اشتراكات الصحف الأمريكية لم تعد تمثل

إلا ربع عائداتها، وبأني الباقي من الأنترنت ووسائل الإعلام السمعية البصرية ومن مبادرات تجارية مثل خدمة قواعد البيانات الإحصائية الرياضية.

كذلك أعلنت مجموعة واشنطن بوست الصحفية الأمريكية عرض أسبوعيتها الجامعة " نيوزويك " للبيع، حيث أنها لم تتمكن من وقف خسائرها المالية منذ 2007، وقال " دونالد غراهام " رئيس مجلس إدارة المجموعة " إن خسائر نيوزويك " بين 2007 و 2009 معروفة، ورغم الجهود المحسوسة للإدارة والعاملين في نيوزويك فإننا نعتقد أنها ستخسر المزيد من الأموال في 2010 ".

كما تأثرت مجلة " نيوزويك " التي تأسست عام 1933 والمملوكة للواشنطن بوست منذ 1961 وهي إحدى مؤسسات الصحافة الأمريكية، وذلك على غرار منافستها " تائم " التابعة لمجموعة " تائم وورنر " نتيجة اغتيال سوق الإعلان وتنامي الأنترنت، مما أدى إلى تراجع مبيعاتها، وقد فقدت المجلة بين 2008 و 2009 نحو 15 % من قرائها وبقيت مبيعاتها في حدود مليونين و 316 ألف نسخة، وترتيبها 26 بين المجلات الأسبوعية التي تباع في الولايات المتحدة الأمريكية بحسب جمعية الناشرين الأمريكيين بفارق كبير عن " تائم " التي احتلت المرتبة 13 مع ثلاثة ملايين و 350 ألف نسخة مباعة (تراجع بنسبة 0.7 %).

كذلك أعلنت شركة " واشنطن بوست " أنها تعاقدت مع شركة " ألن أند كو " للخدمات المصرفية والاستثمارية لبيع مجلة " نيوزويك " التي تملكها منذ عقود بسبب استمرار تكبدها خسائر مالية، وأضافت " واشنطن بوست " أنها كلفت الشركة بالبحث عن جهة لشراء المجلة التي صدرت في عام 1933 واشترتها فيما بعد شركة واشنطن بوست في عام 1961، وتحظى مجلة " نيوزويك " بسمعة دولية جيدة وتوفر لقرائها مجموعة من الأخبار الفريدة والمتنوعة والتعليقات والتحليلات السياسية لما يدور في الولايات المتحدة وكافة أنحاء العالم.

وفي مقابل هذه الصحف هناك 7 شركات عالمية مختصة بالنشر الصحفي أعلنت إفلاسها في عام 2009 بينما وضعت مجموعة " تريون " نفسها طوعاً تحت قانون الإفلاس (تمتلك 23 محطة تلفزيونية وعددا كبيرا من الصحف اليومية)، وألغت " كريستيان ساينس مونيتور "

الطبعة الورقية واعتمدت كلياً على طبعة الأنترنت، حيث توقفت عن الصدور اعتباراً من أبريل 2009 في نسختها الورقية وتحولت إلى صحيفة إلكترونية بعد قرن من الصدور، على أن تصدر نسخة أسبوعية ورقية لتغطية العجز في نفقاتها.

وعلى العكس من ذلك فقد نجت بعض الصحف العربية من تأثيرات الأزمة العالمية السلبية، ورغم ذلك فقد توقفت يومئذ مستقلة تصدران باللغة العربية في الكويت والبحرين عن الصدور بسبب صعوبات في التمويل، ففي الكويت قالت صحيفة "أوان" أنها لن تصدر وذلك بعد 30 شهراً من وجودها في الأكشاك، وأوضح ناشرها في مقال له بعنوان "وقف وداع" في الصفحة الأولى "تتوقف أوان عن النشر لأسباب اقتصادية قاهرة" وكانت الكويت شهدت عام 2009 غياب يومية أخرى ناطقة باللغة العربية وهي جريدة "أصوات" لأسباب اقتصادية أيضاً⁽⁸⁾.

وكانت صحيفة "الوقت" اليومية في مملكة البحرين أصدرت إعلاناً مماثلاً موضحة أن قرارها يعود إلى عجزها عن العثور على شريك استراتيجي أو مشتر لمعاودة الصدور، وكانت الصحيفة قد بدأت بالصدور في عام 2006 غير أنها عانت من آثار الأزمة المالية التي أدت إلى شح الإعلانات، وبدأت المشكلات المالية لهذه الصحيفة منذ شهر ماي 2009 عندما بدأت تتأخر في دفع رواتب العاملين فيها إثر مصاعب مالية عانتها منذ نشأتها تقريباً، لكن الأزمة المالية العالمية وحالة الركود التي تخيم على سوق الإعلان ضاعفت من مصاعب الصحيفة، وظلت تعاني من صعوبات في التمويل واستقطاب المعلنين وسط سوق إعلامي صغير ومكتظ بالصحف والوسائل الإعلامية الأخرى.

وتؤكد الأرقام أن ثلاث صحف عربية فقط من الكويت والجزائر ومصر قد توقفت عن الصدور، وهو وضع بكل تأكيد لم يتوقعه أفضل المتفائلين عندما أطلقت الأزمة المالية العالمية برأسها من الباب الأمامي للاقتصاد العربي بل وللإعلام وباقي القطاعات الرئيسية الأخرى. فقد قررت الجمعية العمومية لشركة التقدم للصحافة والنشر التي تصدر جريدة "البديل" اليومية المصرية التوقف عن إصدار العدد اليومي للجريدة بعد أن واجهت الجريدة أزمة مالية استمرت لأشهر عديدة.

وتجدر الإشارة إلى أن الحديث عن خروج الصحف العربية من الأزمة إنما نعني به بالدرجة الأولى الصحف اليومية، بينما بلغ إجمالي عدد المجلات العربية التي توقفت عن الصدور في المنطقة العربية منذ بداية الربع الأخير من عام 2008 وحتى نهاية النصف الأول من عام 2009 حوالي 103 مجلات منها 52 مجلة توقفت تماماً عن الصدور مقابل 48 مجلة علقت صدورها بشكل مؤقت، فيما استغنت بعض الإصدارات عن الطباعة الورقية واكتفت بالتحول التام إلى الموقع الإلكتروني مع الإشارة إلى أن غالبية هذه المطبوعات كانت تعاني من أزمات حتى قبل الأزمة المالية العالمية.

5- هل وسائل الإعلام الإلكترونية تمثل خطراً على الصحافة الورقية؟

بدأ تأثير الثورة المعلوماتية التكنولوجية يظهر على صناعة الطباعة والنشر وعلى عادة القراء ذاتها، وشهدت بداية العقد الأول للقرن الحادي والعشرين اتساعاً متزايداً للصحافة الإلكترونية مقابل الصحيفة التقليدية التي سادت خمسة قرون مضت.

ومنذ بدأت الصحف الإلكترونية في الظهور على شبكة الأنترنت والحديث لا يتوقف عن مصير الصحف الورقية أو المطبوعة، وعن شكل العلاقة المحتملة بين كل من الصحافة الورقية والإلكترونية، هل ستكون علاقة تنافس وتضاد أم علاقة تكامل؟

وإذا كان بيل جيتس قد انتصر للرأي القائل بأن " مستقبل الصحف المطبوعة يتمثل في استخدام الأنترنت" فإن معارضة شديدة واجهت الرأي القائل بإمكانية إلغاء الصحف الإلكترونية لمثيلتها الورقية استناداً على استقراء أحداث تطور وسائل الاتصال، حيث لم تلغي وسيلة حديثة وسيلة قديمة، بل أضافت إليها، وكانت عاملاً مساعداً على تطويرها⁽⁹⁾.

إن الصحيفة الإلكترونية تحمل قوة جذب وإهمار جديدة تساعد على انتشارها على حساب تلك التقليدية الحالية، ولأنها تستخدم الوسائط الإعلامية المتعددة. فهي تتيح لمستخدمي الشاشة ممارسة أكثر من حاسة خصوصاً البصر والسمع بل واللمس أيضاً، فالقارئ يستطيع أن يختار ما يريد ويقرأ ما يجب الاطلاع عليه ويرى الصور بألوانها الجذابة ويستمتع في الوقت ذاته إلى الأصوات التسجيلية ويشاهد الأفلام المنقولة عبر الفيديو، كل ذلك في عملية سريعة

واحدة لم تستطع أن توفرها له من قبل وسائل الإعلام المختلفة: الصحافة المكتوبة والإذاعة المسموعة والتلفزيون المرئي⁽¹⁰⁾.

وفي مقابل "الانتكاسة الورقية" يعيش الإعلام الإلكتروني فورة كبيرة مع ظهور مواقع إلكترونية إخبارية جديدة، ومن أبرز الخطوات النوعية في هذا المجال الانطلاقة القوية التي يشهدها موقع "ياهو" الإخباري الذي يدخل إليه حوالى مئة مليون مستخدم شهريا وفق موقع "أليكسا"، وهو رقم ضخم جدا مقارنة بالتوزيعات الشهرية للصحف، فالصحيفة التي تأتي في المرتبة الأولى ضمن الصحف الأكثر توزيعا في الولايات المتحدة الأمريكية مثلا هي "وول ستريت جورنال" توزع نحو مليونين وثلاثمئة ألف نسخة يوميا، ما يعادل نحو 69 مليون نسخة شهريا، وبالتالي ما زالت غير قادرة على كسر حاجز المئة مليون، وهو إنجاز حققه موقع "ياهو" الإخباري، كما أن المواقع الإلكترونية خصوصا الإخبارية منها في توسع مستمر بسبب الإقبال الكبير الذي تشهده، فموقع "هافينغتون بوست" الإخباري الأمريكي الذي أسس في عام 2005، بات اليوم متوافرا بست لغات: (الإنجليزية، الفرنسية، الإيطالية، الإسبانية، الألمانية واليابانية)، وهو في صدد التوسع لزيادة أرباحه المالية من خلال الانفتاح على أسواق جديدة⁽¹¹⁾. وعلى هذا الصعيد، يشير الخبير الفرنسي في مجال الإعلام برنار بوليه، الذي أصدر كتابا بعنوان "نهاية الصحف ومستقبل الإعلام" إلى وجود عوامل عدة تشكل خطرا على الصحف، أولها تزايد سلطة الأنترنت وتراجع الموازنات الإعلامية للصحف التقليدية واتجاهها نحو وسائل الإعلام الإلكترونية، إضافة إلى عدم اهتمام جمهور الشباب بالصحف المطبوعة وتغير أنماط التفكير والقراءة وانتصار ثقافة المعلومة المجانية. ويلاحظ بوليه أن في بعض الدول مثل فرنسا، ما زالت هناك محاولات لإصلاح قطاع الصحافة المكتوبة وإعادة إحيائه أو تكيفه مع المتغيرات الجديدة، لكنه يرى من موقعه كصحفي وخبير إعلامي أن "هناك ضرورة لمناقشة فرضية اختفاء جوهر الصحف الورقية والمنعطف الذي تمر به عملية إنتاج الإعلام".

وفي هذا الموضوع والعلاقة مع وسائل الإعلام الإلكترونية والصحافة الورقية في العالم تمت مناقشة التالي:

● غالبية الصحف اليومية في الغرب والعالم العربي يتم الاطلاع عليها من خلال المواقع الإلكترونية على شبكة الأنترنت. وتشير صحيفة News link أنه في نهاية عام 1998 وصل عدد الصحف والمواقع الإلكترونية إلى 4900 منها 2000 في الولايات المتحدة، ومع ذلك فإن عدد الصحف الإلكترونية لا تتجاوز 80 صحيفة في نهاية 1994. هذه الأرقام تشمل الصحف اليومية والأسبوعية والدوريات والمجلات والمنشورات الأخرى.

● هناك عدد لا بأس به من الصحف في أمريكا وأوروبا واليابان قد فصل الصحف المطبوعة عن النسخة الإلكترونية من حيث الإدارة وجودة المحتوى وطبيعة مصادر الدخل ونفقات كل واحدة، مثل: (واشنطن بوست) و (نيويورك تايمز) و (شيكاجو تريبيون) و (الفانانشيال تايمز) كما أن النسخ الإلكترونية أصبحت تشتمل على تحديث محتوى وسائل الإعلام على مدار الساعة سبعة أيام في الأسبوع وتفوق في كثير من الحالات النسخ المطبوعة في نشر الخبر.

● هناك عدد من المواقع التي يملكها عدد من الناشرين المختصين إلكترونيا بعيدا عن الصحافة المطبوعة هي اليوم واحدة من أنجح البوابات الإلكترونية على الشبكة العالمية من حيث عدد الزوار أو المشتركين، ودخلها من الإعلان أرقام لا تصدق، ذلك أن هذه البوابات الإلكترونية أصبحت مستقلة تماما عن النسخة المطبوعة وتقدم خدماتها على مدار الساعة، ومع ذلك تذكر صحيفة News Link أن عددا من الصحف الإلكترونية على الشبكة حاليا يجني الأرباح ولكن عدد لا بأس به من الصحف أغلقت مواقعها بسبب الخسائر.

● هناك الكثير من الصحف والمجلات ظهرت على شبكة الأنترنت وحقت نجاحا كبيرا، إلى درجة أنها تخطت عالم النشر التقليدي مثل مجلة Wirad .

• يجب أن نذكر بأن العامل المشترك بين النشر التقليدي والنشر الإلكتروني هو المحتوى المتميز، وبدون ذلك تفقد الصحيفة أو الموقع الإلكتروني أهميته، إذ يجب التركيز على المحتوى المتميز من أجل الانتشار من قبل الجمهور⁽¹²⁾.

• أكد الاتحاد العالمي للصحف في مؤتمره الذي عقده بالعاصمة الكورية الجنوبية سيؤول في 2005 أن الصحف المطبوعة تواجه تحديات عديدة أكثر من الصحف الإلكترونية، وأشار إلى أن صناعة المطبوعات تواجه منافسة قوية، وأنه من المتوقع أن تتزايد الضغوط التي تمثلها الصحف المجانية ومواقع الصحف على الأنترنت والمصادر الإخبارية الأخرى على الصحف التقليدية، وأن التحديات التي تواجه المؤسسات الصحفية الكبيرة لا تقتصر على الاستجابة لتغيرات أنماط الاستهلاك لوسائل الإعلام الإلكترونية فقط، ولكن تشمل أيضا التعرف على سبل الربح من الطرق الجديدة التي يمكن الجمهور من الاطلاع على منتجاتهم⁽¹³⁾.

• تعاني مهنة الصحافة المزيد من الغموض والانسائية في تحديد مفهوم الصحافة والصحيفة والصحفي، وهي محاذير من شأنها أن تولد جدلا حول من له حق الانتماء لثقافة الصحفيين؟ والصحافة كمهنة؟ بالإضافة لتساؤلات أخرى حول علاقتها بالنظم؟ وانعكاس هذه العلاقة على مساحة الحرية التي تتمتع بها.

6- مقترحات للرقى بالصحافة الورقية:

إن عدد قراء الصحف الإلكترونية كما تشير العديد من الدراسات في ازدياد مستمر، ويوضح تقرير صدر عن مركز بيو للأبحاث مؤخرا تناول تحديات الصحافة الورقية والإلكترونية ومستقبلها، أن مزيدا من الأمريكيين يتجهون إلى الأنترنت لمعرفة الأخبار، في مقابل انخفاض قراء الصحف المطبوعة أو الورقية.

فالصحيفة اليومية الورقية ليس في مقدورها منافسة سرعة المواقع الإلكترونية في نقل الأخبار، فوضع الصحف دقيق، وهي مدعوة إلى السعي لصوغ شكل جديد من الصحافة يقاوم القوى الاقتصادية والثقافية والاتصالية التي تحكم عليها بالإعدام، وقد برزت بعض الحلول المبسطة

على غرار الاستغناء عن النسخة الورقية ونقل المحتوى كله إلى موقع الصحيفة الإلكترونية الذي لا ينقطع سيل الإقبال عليه وقد يكون مجزيا، ومن الحلول المبسطة كذلك الإبقاء على النسخة الورقية وتجريدها من الصفحات المخصصة للأخبار الساخنة التي بلغت مسامع الناس، ونقل هذه الصفحات الخيرية إلى الموقع الإلكتروني، فتجمع الأخبار والتحقيقات والمقالات النقدية، بينما محتوى النسخة الورقية يُنْتَر وتبرز المقالات المعمقة والتعليقات والتحقيقات⁽¹⁴⁾.

ويشير عدد من الاستطلاعات والدراسات إلى تزايد معدلات الإقبال على الصحف الإلكترونية في العالم، فقد كشفت دراسة أجرتها مؤسسة الأبحاث Nielsen/ Net ratings مؤخرا عن تزايد عدد زائري مواقع الصحف اليومية على الأنترنت، ليصلوا إلى 39.3 مليون زائر، حيث قال 22 % تقريبا ممن شملتهم الدراسة أنهم يفضلون قراءة صحف الأنترنت، بينما قال 7 % أنهم يقسمون وقتهم بين صحف الأنترنت والصحف المطبوعة.

وأرجع المحلل الإعلامي جيري دافيسون هذا الإقبال إلى تميز مواقع الأنترنت، علاوة على معرفة الخبر بمجرد حدوثه، وهي ميزة تفتقر إليها الصحف المطبوعة.

وبحسب مركز " نيو " للأبحاث بلغت نسبة قراء الصحف الإلكترونية إلى أكثر من ثلث إجمالي قراء الصحف بكافة أشكالها، وبلغ زوار مواقع الصحف الإلكترونية ما نسبته 41 % من مجمل مستخدمي الأنترنت.

ووفقا لآخر بحث أجرته رابطة الصحف الأمريكية، وجد انخفاض في معدل توزيع الصحف الورقية، على الرغم من تزايد معدل الإقبال على قراءة الصحف بين الشباب، لكن عبر الأنترنت. فمواقع الصحف على الأنترنت ساهمت في زيادة عدد جماهير قراء الصحف بين البالغين من العمر 25 إلى 34 عاما بمقدار 13.7 % و 9.2 % بين البالغين من العمر 18 إلى 24 عاما⁽¹⁵⁾.

وإذا كان للصحف رسالة واضحة موجهة للجمهور المخاطب، فعليها بداية أن تكون على علم تام بطبيعة ذلك الجمهور، أو ما يعرف بالفئة المستهدفة وإدراك الطريقة التي يمكن الوصول إليه بها. وتسعى جاهدة إلى معرفة اهتمامات تلك الفئة والتعاطي الصحفي الرصين

والحقيقي مع تلك الاهتمامات، وإلا فإنها تغرد خارج السرب. فالقفة المستهدفة اليوم تختلف جذريا عن القفة المستهدفة في السنوات والعقود الماضية، فقد صارت اهتمامات شباب اليوم تتمحور حول بلدانهم في الأساس من حيث حالة الاستقرار ومستويات النمو وحجم المشاريع التي يتم إنجازها ومدى تلبية آملهم وتطلعاتهم وماذا ينتج البلد ومستوى الخدمات المقدمة وكيفية التصدي للفساد ومواجهته، أي ما يلامس حياتهم اليومية.

ويمكن تلخيص مجموعة من الحلول المقدمة للصحافة الورقية للحفاظ على مكانتها في مواجهة الإلكترونية كالآتي:

❖ لا بد وأن نتجه الصحافة الورقية إلى التعامل مع التكنولوجيا ووسائل الاتصالات الحديثة بتطور وواقعية، فلم يعد الجيل الجديد يتعامل مع الصحافة الورقية، ولذلك عليها أن تتجه إلى العالم الجديد عبر تحديث المحتوى واستخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة.

❖ بعض الصحف الورقية تطبع نسختها ويتم نشر المحتوى في موقعها الإلكتروني، وهذا لا يقدم جديدا حينما ننقل الجريدة من ورقية إلى إلكترونية، ولكن لا بد من تحديث وتطوير الأخبار على مواقع الصحف الورقية.

❖ البعد عن عملية النقل النصي من الصحف الإلكترونية والتميز بمادة خبرية حصرية لها.

❖ إتاحة مساحة كبيرة للكتاب والآراء المختلفة.

❖ التوسع في الصحافة الاستقصائية والتحقيقات التي تكشف ما وراء الكواليس.

❖ الحفاظ على مصداقيتها التي لا يزال القارئ يثق فيها أكثر من الإلكترونية.

❖ تأخير عملية الطبع لتغطية آخر الأحداث التي تقع يوميا، والتي أصبحت تتميز في تغطيتها الصحف الإلكترونية⁽¹⁶⁾.

❖ التزام الحيادية قدر الإمكان والابتعاد عن التوجه والتحيز لملاكها حتى تستطيع أن تتميز عن نظيرتها الإلكترونية.

الخلاصة:

إن الصحافة الورقية ليس في مقدورها منافسة سرعة المواقع الإلكترونية وأخبار كبرى خوادم الأنترنت في نقل الأخبار. فقد خسرت شيئاً فشيئاً القراء المشبعين بالأخبار والذين تنزل بهم الخيبة حين لا يجدون في الورق غير ما سبق أن تناهى إليهم. والعوامل وراء أزمة الصحافة الورقية ومشارفتها على لفظ أنفاسها الأخيرة كثيرة ومركبة منها مد الابتكارات التكنولوجية وتطور المجتمعات. ويقال إن عهد الصحف الورقية سيطوى مثلما طوى عهد القطار البخاري. فوضع الصحف دقيق، وهي مدعوة إلى السعي لصوغ شكل جديد من الصحافة يقاوم القوى الاقتصادية والثقافية والاتصالية التي تحكم عليها بالإعدام.

الهوامش:

1- نزار بشير جديد: الإعلام المقروء - بين الصحافة الورقية والصحافة الإلكترونية، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، ط1 الأردن 2015 ص 233.

2- محمد عبد الصادق مستقبل الصحافة الورقية في الوطن العربي

<http://alwatan.com/details/107639>

تاريخ الزيارة: 2016/10/19.

3- هنادي أبو نعمة: 10 تحديات تواجه الصحافة الورقية.

<http://www.emaratalyoun.com/local-section/other/2016-04-16-1.888760>

تاريخ الزيارة: 2016/10/19.

4- عبد الصبور فاضل: الصحافة والثورة الرقمية، دار عطا الله للطباعة، ط1 مصر 2013 ص 236.

5- هل انتهى عصر الصحافة المطبوعة؟

http://www.inseadknowledge.ae/articles/Is_there_hope_for_the_newspaper_r_industry.cfm

تاريخ الزيارة: 2016/10/20.

6- زيد منير سلمان: الصحافة الإلكترونية، دار أسامة للنشر والتوزيع ط1 الأردن 2001 ص 59 - 60.

7- عبد الصبور فاضل، مرجع سابق ص 257.

8- نفس المرجع ص 260.

9- رضا عبد الواحد أمين: الصحافة الإلكترونية، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1 القاهرة 2007 ص 243.

10- عبد الأمير الفيصل: مدخل في صحافة الأنترنت، دار الكتاب الجامعي، ط1 الإمارات 2014.

11- محمد بكري: الإعلام الرقمي يهدد الصحافة الورقية؟

<http://www.langue-arabe.fr/spip.php?article1779>

تاريخ الزيارة: 2016/10/20.

12- عبد الرزاق محمد الدليمي: الإعلام العربي - ضغوطات الحاضر وتحديات المستقبل، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ط1 الأردن 2011 ص 193 - 194.

13- نزار بشير جديد: مرجع سابق ص 235.

14- روبر ماغيوري: مستقبل الصحافة الورقية

<http://www.alhayat.com/m/opinion/345241>

تاريخ الزيارة: 2016/10/20.

15- علي عبد الفتاح كنعان: الصحافة الإلكترونية، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن 2014 ص 100.

16- نفس المرجع ص 208.